

حِمَى لَا يَحِلُّ الدَّهْرَ إِلَّا بِأَمْرِنَا وَلَا نَسْأَلُ الْأَقْوَامَ عَهْدَ الْمَوَاتِقِ (*)

وما ذكرناه هو مذهب بعض الكوفيين، وحكوا أن ذلك لغة لبعض العرب. وإنما قلبت الواو في واحده ياء لسكونها بعد كسر وهو بعض الياء، وكان ذلك أخف على اللسان إذا كان العمل من وجه واحد حيث إن الخروج من الكسر إلى الياء أسهل على اللسان من الانتقال إلى الكسر بعدها واو^(١) وقد زال الثقل في الجمع - كما ذكرنا - فإن كانت الواو في المفرد متحركة نحو طويل، صحت ولم تعتل في الجمع، ومع ذلك فقد ورد إعلالها في قول بعضهم^(٢):

تَبَيَّنَ لِي أَنَّ الْقَمَاءَ ذَلَّةٌ وَأَنَّ أَعِزَّاءَ الرَّجَالِ طِيَالُهَا (**)

فقلبوا الواو ياء لتحركها بعد كسرة وكان ذلك أخف عليهم من كسر بعده واو وليس ذلك عن قوة علة إنما هو للجنوح إلى خفة الياء مع أدنى سبب، وهو التطرق إليها بالكسرة طلباً للاستخفاف لا عن وجوب قياس. وقد وصف بعضهم ذلك القلب بأنه شاذ وقليل^(٣).

وعزاه آخرون إلى أنه قد جاء على قياس لغة لبعض العرب وهم بنو ضبة^(٤).

الإعلال بالنقل

- الخلاف في تصحيح اسم المفعول من الأجوف الثلاثي العين:

تصحیح عين الواوي من اسم المفعول من الأجوف الواوي قال فيه المبرد: إن النحويين البصريين أجمعين لا يجيزون ذلك - ولست أراه ممتنعاً عن الضرورة إذ

(١) شرح المفصل ١٠ : ٨٨.

(٢) شرح المفصل ١٠ : ٨٨.

(٣) شرح المفصل ١٠ : ٨٨ وشرح التصريح: ٢ : ٣٧٨ وما بعدها.

(٤) البحر المحيط ٣ : ١٧٠.

(*) البيت مع آخر قد تحدثنا عنه فيما سبق، وهو من شواهد النوادر: ٦٤، شرح الشافية ١ : ٢١٠، وقد نسب أبو زيد إلى عياض بن درة - شاعر جاهلي - والدين: الطاعة. والغلبة. وبرى لنا: عرض لنا ومصاب: اسم مكان من صابه المطر إذا مطر، والصبوب: نزول المطر. والبارق: جمع بارقة وهي سحابة ذات برق.

(**) البيت لم ينسب إلى أحد، وهو من شواهد شرح المفصل ١٠ : ٨٨. والقراءة: مصدر قمأ الرجل وغيره إذا ذل وصغر. وطياها: ضد صغارها. والشاهد: قلبت الواو ياء للكسرة التي قبلها.

كان قد جاء في الكلام مثله ولكنه يعتل لاعتلال الفعل، والذي جاء في الكلام ليس على «فعل» فإذا اضطر الشاعر أجرى هذا على ذاك. فمما جاء قولهم: النور، وقولهم: سرت سوورا، ونحوه.

قال أبو ذؤيب:

وَعَيَّرَ مَاءَ الْمَرْدِ فَاهَا فَلَوْنُهُ كَلَوْنِ النَّوْرِ وَهِيَ أَدْمَاءُ سَارُهَا(*)
وقال العجاج: كَأَنَّ عَيْنَيْهِ مِنَ الْغَوْرِ(**).

وهذا أثقل من مفعول من الواو لأن فيه واوين وضمتين وإنما ثم واوان بينهما ضمة^(١).

قال النحويون عن رأي المبرد هذا:

أنه خالف القياس والسماع وأنه في الخطأ بمنزلة من ينصب الفاعل ويرفع المفعول به^(٢).

أما سيبويه فقد قال: وقالوا: مخيوط، ولا يستنكر أن تجيء الواو على الأصل.. ولا نعلمهم أتموا في الواوات^(٣).

ولا تعارض بين النصين، فالأول: يميزه قياساً. والثاني: يثبت عدم السماع.

والحجازيون: يعلون اسم المفعول من الأجوف الثلاثي يقولون: مبيع، مدين، مصون، مقود، معين، مسير، وطعام مزيت، وبر مكيل، ومخيظ، ويوم مغيوم، ومعيب^(٤).

أما التميميون: فإنهم يصححون ما جاء على وزن مفعول من بنات الياء فيقولون: معيوب، مخيوط، مكيول، مزيوت، مبيع، ومسيور به.

(٢) المنصف ١: ٢٨٤ - ٢٨٥.

(١) المقتضب ١: ٢٤٠، المنصف ١: ٢٨٥.

(٤) الأمالي الشجرية ١: ٢٠٩.

(٣) الكتاب ٢: ٣٦٣ وما بعدها.

(*) نسب البيت لأبي ذؤيب الهذلي - ديوان الهذليين: ٢٤. المرد: ثمر الأراك. والنور: دخان الفتيلة يتخذ كحلا للوشم. الأدماء من الظباء: البيضاء التي تعلوها جدد فيها غبرة، فإن كانت الظباء خالصة البياض فهي الآرام. وسارها: أصله سائرهما بمعنى باقياها فحذفت العين.. ويروي: وسود بدل: وغير.

(**) البيت من أرجوزة للعجاج في وصف جمل وبعده:

بعبد الأئى وعرق الغرور قلتان في لحدي صفا منقور

روى الأصمعي عن أبي عمرو بن العلاء أنه قال: سمعت بعض العرب يقول^(١): وَكَأَنَّهَا تَفَاحَةٌ مَطْيُوبَةٌ (*).

وقال علقمة بن عبدة:

حَتَّى تَذْكَرَ بَيْضَاتٍ وَهَيَّجَهُ يَوْمَ رَذَاذٍ عَلَيْهِ الدَّجْنُ مَغِيومٌ^{(٢)(**)}

وقال العباس بن مرداس:

قَدْ كَانَ قَوْمُكَ يَزْعُمُونَكَ سَيِّدًا وَأَخَالَ أَنَّكَ سَيِّدٌ مَعْيُونٌ^{(٣)(***)}

واختلف النحاة في المحذوف حينئذ فذهب الخليل وسيبويه إلى أن المحذوف واو مفعول لأنها زائدة والتي قبلها أصلية فكانت الزيادة أولى بالحذف، وذهب الأخفش إلى أن المحذوفة هي عين الفعل لأنه إذا التقى ساكنان حذف الأول أو حرك لا لالتقاء الساكنين^(٤).

أما اسم المفعول الواوي: فقد سبق أن الحجازيين يعلونه وينقصونه أما إتمامه: فقد نص أكثر النحويين على أنه لا يجوز قالوا: فإذا كان من الواو لم يتموه لا يقولون في مقول: مقوول، ولا في مصوغ مصووغ البتة. وأنكره أبو علي الفارسي وقال: أنه خطأ^(٥).

(١) المنصف ١: ٢٨٦، المتع في التصريف: ٤٦٠. (٢) شرح الملوكي ٣٥٣.

(٣) شرح التصريح ٢: ٣٩٥. (٤) المقتضب ١: ٢٣٨.

(٥) المنصف ٣: ٢٨٣.

(*) البيت لم ينسبوه إلى قائل معين، ولا تكملة له معروفة، قال ابن جني: وأنشد أبو عمرو بن العلاء وذكر البيت - الخصائص ١: ٢٦١. وقيل: بل هو لرجل من تميم. والمعنى واضح... والشاهد في مطيوبة... حيث جاءت على الأصل كمخيوط وهو مأخوذ من الثلاثي طاب واسم المفعول يطرد قياسا من الثلاثي على وزن مفعول ولا حجة لمن ردها إلا أن الاستعمال قد جرى على إعلالها مثلها. (***) نسب البيت إلى علقمة بن عبدة الفحل. وقبل البيت:

كَأَنَّهَا خَاضِبٌ زَعَرَ قَوَائِمَهُ أَجْنَى لَهُ بِاللَّوَى شُـرَى وَتَنُومَ
وَالشَّعْرَ فِي وَصْفِ الظَّلِيمِ. والدجن: السحاب والمعنى واضح والشاهد: في مغيوم: حيث صحح اسم المفعول من الأجوف اليائي، والمشهور إعلاله بعد النقل والقلب.

(****) نسب البيت إلى العباس بن مرداس الصحابي الجليل. ومعينون: من أصابته العين أو أصيبت عينه. والشاهد في معيون: حيث أتم اسم المفعول من الثلاثي وأبقاه على الأصل مع أن الاستعمال قد جرى في المعتل على غير الأصل.

وقال آخر: وهو شاذ في القياس والاستعمال جميعاً^(١).

وكذا تبعه ابن عقيل فحكم عليه بالندور^(٢).

وخصه الأشموني: بالشذوذ، وقال: أنه لا يقاس عليه^(٣). وذهب الرضي إلى أنه قليل^(٤).

وفي الأمالي: وأجمع الفريقان على نقص ما كان من بنات الواو إلا ما جاء على جهة الشذوذ، وهو قولهم:

ثوب مصوون، ومسك مدووف... إلخ.

وانفرد أبو العباس محمد بن يزيد: بإجازته في الضرورة والمعروف أن الشاعر إذا اضطر رد الأشياء إلى أصولها^(٥).

وجميع هؤلاء لم ينسبوه إلى معين من قبائل العرب حتى ابن هشام لم يحدد من هم أولئك العرب الذين التزموا جانب التصحيح في اسم المفعول من الواوي حيث قال: ... وربما صحح بعض العرب شيئاً من ذوات الواو سمع ثوب مصوون، وفرس مقوود^(٦).

ونرجح أن التامة الواوية والتي جاءت مهملة الغزو في كتب العربية هي لتميم، ومما يؤيد هذا الزعم ما يأتي:

١- قال ابن منظور: رجل معود، ومعوود، الأخيرة: شاذة وهي تيممة، فقد وردت صيغ عنهم تفيد أن تيمما يصححون الواو أيضاً، وقد ورد له قول الراجز: **وَالْمِسْكُ فِي عَنَبِهِ مَدُوُوفٌ***.

٢- وعن ابن الأعرابي: وثوب مصون على النقص، ومصوون على التمام، الأخيرة نادرة وهي تيممية^(٧).

(١) الخصائص ١: ٩٨. (٢) حاشية الخصري ٢: ٢٠٥.

(٣) حاشية الصبان ٤: ٣٢٠. (٤) الأمالي الشجرية ١: ٢٠٩، شرح الشافية ٣: ١٤٦ وما بعدها.

(٥) المقتضب ١: ١٣٧. (٦) شرح التصريح ٢: ٣٩٥ وما بعدها.

(٧) اللسان ٤: ٣١٤، ١٧: ١٨. ط: بولاق.

(*) البيت من شواهد المقتضب ١: ١٠٢، اللسان ٤: ٣١٤. الخصائص ١: ٢٦١. المسك: معروف وكذا العنبر، ومدووف: أي مخلوط أو مبلول، والنحاة العرب قد اختلفوا في المنقول عن بعض العرب من الواوي العين حيث أتمه بعضهم في اسم المفعول والأكثرون على منعه.

٣- وروى الفراء عن الكسائي: أن بني يربوع وبني عقيل يقولون: حلي مصووغ، ومسك مدووف، وثوب مصوون. وفرس مقوود. وأما البصريون: فلا يعرفون هذا^(١).

ويبدو أن هذه الظاهرة اللهجية كانت شائعة في بني يربوع وبني عقيل، كما هي موجودة أصلا في بني تميم.

ولعل ذلك للصلة القوية بين تميم وبين هؤلاء من جهة ومن جهة أخرى فإن بني يربوع إن هم إلا بطن من حنظلة من تميم^(٢).

ولأجل ذلك فلا تناقض في نسبة هذه الظاهرة إلى هؤلاء أيضا، وأما عزوها لعقيل، فعقيل غير تميم ولكن مساكنها عن كثب من مساكن تميم فلا غرو إن تأثرت عقيل بمجاوريتهم من تميم في تلك الصيغة، ثم إن عقيلًا من القبائل المتبدية كتميم^(٣).

ولعل ما دفع النحويين إلى اعتبار شذوذ تلك الصيغ أو ندورها أو قلتها هي الثقل الناتج عن الضمة لا سيما وبعدها واو، وإنما أتموا في الياء لأن الياء وفيها الضمة أخف من الواو وفيها الفتحة^(٤).

(١) أدب الكاتب ٤٤٧- تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد.

(٢) جمهرة الأنساب ١٨٧.

(٣) انظر سبائك الذهب منهم كانوا يسكنون في نواحي البحرين وما إليها من بلاد. أما عن تميم فقد قال في العبر: وكانت منازل تميم بأرض نجد دائرة من هناك على البصرة واليمامة وامتدت إلى العذيب من أرض الكوفة ثم تفرقوا بعد ذلك في الحواضر وورث مساكنهم غزية من طيء ونفاجة من بني عقيل. . السبائك ٢٦.

(٤) المنصف ٣: ٢٨٤. المختضب ١: ٢٤٠. الكتاب ٢: ٣٦٣.